جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة

كلية العلوم الانسانية

قسم التاريخ

السنة الأولى ماستر

السنة الجامعية 2023- 2024

محاضرات مقياس: تطور النظام السياسي بالجزائر 1519- 1830.
المستوى: الأولى ماستر
اعداد: د. عمريوي فهيمة

المحاضرة الثانية: ظهور الإخوة بربروسة في البحر المتوسّط وارتباط الجزائر بالباب العالي.

في أواخر القرن 15م وصل بعض رياس البحر العثمانيين إلى سواحل البحر الأبيض المتوسّط واستقروا في بعض مدنها منهم كمال ريس، وبيري ريس اللذان لعبا دورا مهما في مساعدة الأندلسيين. أمّا بالنّسبة للإخوة بربروسة فقد وصلوا في بداية القرن 16م، وهؤلاء الإخوة هم في الأصل أربعة: إلياس، إسحاق، عروج، وخير الدّين، وأصلهم من جزيرة متيلان القديمة. وكان والدهم يدعى يعقوب من الجند المتطوع لفتح هذه الجزيرة. عندما استقرّ بالمدينة امتهن صناعة الخزف، أي احترف مهنة الفخار "فخارجي".

بدأت شهرة الإخوة بربوسة مع الرّيّس عروج، فهذا الأخير حين فرّ من جزيرة رودس، وكان أسيرا هناك عند فرسان القديس يوحنا، وبعد فراره من الأسر دخل في خدمة الأمير العثماني قرقود (1470- 1513) وهو أخّ السّلطان العثماني آنذاك سليم الأوّل (1512- 1520)، الّذي أمدّه بالسّفن وكل ما يتعلّق بالجهاد في البحر. إلاّ أنّ العلاقة بين الأخوين سليم الأول قرقود ما فتئت وساءت، وصار سليم الأوّل يطارد أخاه وأتباعه، ففرّ عروج إلى الإسكندرية. ومن هذه الأخيرة اتّجه عروج إلى جربة بتونس وهناك التحق به خير الدين الّذي فرّ هو الآخر من ملاحقة سليم الأوّل، واتخذوا جربة قاعدة لهم لمساعدة الأندلسيين. ثم سمح لهم السلطان أبا عبد الله محمد باستخدام ميناء حلق الوادي وذاع صيتهما في البحر المتوسّط شريطة أن يسلما له خمس الغنائم.

- **نشاط عرّوج وخير الدّين:**

وصل صدى بطولات عروج وخير الدّين إلى سكان المدن الجزائرية المحتلة من قبل الإسبان، الأمر الذي حفزهم للتّخلّص من الاحتلال. ففي 1512 أرسل الحاكم الحفصي ببجاية وفدا إلى عروج مشكل من علماء وأعيان المدينة، وطلب منه مساعدته على استرجاع بجاية وعلى إثر ذلك لبّى عرّوج طلب الحاكم الحفصي ببجاية وتوجّه إليها بـ 14 سفينة محمّلة بالذّخيرة، و معه 1000 تركي وبعض الرياس من المغرب. عندما وصل عرّوج وخير الدّين إلى بجاية في بداية شهر أوت، انظمّ إليهما الحاكم الحفصي و جيشه، و كان تعداده 3000 رجل جاؤوا من بجاية وضواحيها.

تمكّن الأخوان عروج وخير الدين من إلحاق هزيمة بالإسبان، إذ ألقوا القبض على سفينة إسبانية وأغرقوا الأخرى، على إثر هذا الانتصار الأوّل حاصروا قلعة بجاية وبعد مرور ثمانية أيام من الحصار والمعارك، هدمت تقريبا كلّ القلعة، في هذه الأثناء اتّجه عروج ومعه بعض الرجال إلى المدينة لتفقدها، إلاّ أنّه أصيب في يده اليسرى، فرفع الحصار مؤقتا وعاد الأخوان إلى تونس، حيث حاول خير الدّين معالجة أخيه إلاّ أنّه لم يتمكن فبترت يده اليسرى، ورغم فشل المحاولة إلا أنها كانت تمثل بداية الاحتكاك بين الطرفين.

أدى فشل الإخوة بربروسة في طرد الإسبان من بجاية، إلى ضرورة التفكير في أهمية إيجاد مكان قريب من بجاية لاتخاذه قاعدة عسكرية لهم، ووقع الاختيار على مدينة جيجل التي لفتت انتباههم أثناء عودتهم إلى تونس، وكانت جيجل آنذاك مدينة صغيرة وقاعدة تجارية للتجار الجنويين الّذين احتلوها في حوالي 1260 وجعلوا منها مركزا للتبادل التجاري بين ايطاليا وإفريقيا.

وفي سنة 1514 وأثناء تواجدهم في المنطقة، طلب الأخوان عروج وخير الدّين من سكان جيجل مساعدتهم إن شاءوا على طرد الجنويين من مدينتهم، قُبِلَ عرضهم وتمّ طرد الجنويين من جيجل. وبعد الفشل الأول في تحرير بجاية رأى الإخوة بربروس إخبار السلطان العثماني بما كان يجري في بلاد المغرب عن طريق بيري رايس الذي كان في المنطقة لمساعدة الأندلسيين. فبعث الأخوين إلى السلطان العثماني سليم الأوّل سفينة محمّلة بالهدايا. وقام السلطان العثماني بتزويهم بالسفن والرجال والسلاح وبذلك أصبحوا يحضون بمساندة الدولة العثمانية.

وبعد أن اتخذت جيجل كقاعدة للإخوة حاولا مجدّدا في 1514 تحرير بجاية، حيث جهز عروج 12 سفينة حربية تقل 2.000 جندي من البحارة الأتراك المزودين بالمعدات من بنادق ومدافع وغيرها بمساعدة 20.000 من رجال القبائل الذين قدموا من مختلف المناطق للمشاركة في التحرير، بعد أربعة أيام متواصلة من الاقتتال تمكن عروج من الاستلاء على القلعة الخارجية والقضاء على جميع

رجال الحامية الاسبانية وأسر حوالي 500 من الاسبان واستمرت قوات عروج في إطلاق المدفعية لمدة 20 يوما فنفذت المؤونة مما جعل عروج يراسل السلطان الحفصي طلبا للمساعدة غير أن تخاذل هذا الأخير امتناعه عن مدهم يد المساعدة وتزويهم بالبارود وأيضا استشهاد محمد إلياس جعل هذه المحاولة تنتهي بالفشل لعروج وقواته. فعادا على أدراجهما، بحيث بقي عروج في جيجل. أما خير الدّين فعاد إلى تونس لتعزيز أسطوله.

- **استنجاد سليم التومي بعروج:**

في 23 جانفي 1516 توفي الملك فرديناند الخامس واستغل سكان مدينة الجزائرو على رأسهم حاكمها سليم التومي هذا الحدث، لنقض المعاهدة التي أبرموها مع اسبانيا عام 1510، وأرسلوا وفد إلى عروج المقيم بجيجل طالبين منه مساعدتهم على طرد الإسبان من مدينة الجزائر. قبل عروج العرض، فجهّز رجاله واتجه برا أما أخوه خير الدين فقد قدم بحرا بـ 16 سفينة من نوع الغليوطة، وعلى متنها 500 رجل من المسلحين فضلا عن 3000 جندي من جيجل وضواحيها.

استقبل عروج استقبل بحفاوة من قبل سليم التومي وسكان مدينة الجزائر، وفي اليوم الموالي بدأ في مهاجمة حصن البنيون، إلاّ أنّ محاولته التي دامت 20 يوما باءت بالفشل نظرا للمدفعية الضّعيفة. أثارت هذه الحادثة مخاوف سليم التومي ومعه سكان مدينة الجزائر في قوة وقدرة عروج، فبدأت المشاكل بين عروج وسليم التزومي، إذ سعى هذا الأخير لطرد الإخوة بربروسة لكن سرعان ما تفطن عروج للأمر. وانتهى الوضع بمقتل حاكم مدينة الجزائر سليم التومي في حمام بيته.

واصل عروج مضايقة الحامية الاسبانية، لدرجة أنهم اجبروا على جلب الماء من ميورقة فهذا الأخير وبعد أن سلمه سكان المدينة الحكم، عمل على تحصين المدينة، وبدأ بتحصين المدينة كانت تحصينات عروج من جهة باب عزون ومن جهة باب الوادي، وخاصّة من واجهة البحر. كما عمل على صكّ عملة جديدة. كما واصل مهمته التي جاء من أجلها وهي طرد الإسبان، وفي 12 أوت 1516، أعاد الهجوم على الحصن فباءت المحاولة بالفشل، إلاّ أنّ الحصار على الحصن كان ناجحا، حيث منع عروج عملية التموين من الماء، بالماء الشروب والمئونة، وكان في الحصن 200 رجل في أوت 1516 ، ممّا اضطرهم إلى شرب ماء البحر، وتم ترحيل 150 شخص، ومما لاشك فيه أن هذه التحركات لعروج جعلت إسبانيا تفكر في كيفية طرده من الجزائر.

- حملة دييقو دي فيرا (Diego de Vera) :

أثارت تحركات عروج مخاوف الإسبان كما اغتنمت هذه الأخيرة المشكل الّذي نشب بين عروج وسليم التومي وسكان المدينة، فقامت بتوجيه حملة عسكرية في 30 سبتمبر 1516 أسندت قيادتها لدييقو دي فيرا، وكانت هذه الحملة مكونة من 2000 بحار و 1000 عسكري، خابت أمل إسبانيا أمام فشل الحملة وكانت تظنّ أنّ سكان المدينة سيقفون ضدّ عروج.

- نشاط اسحاق:

رافق إسحاق ريس أخويه عروج وخير الدين كمساعد لهما ومن الأمثلة عن ذلك نذكر خروج خير الدين مع أخيه اسحاق ريس للغزو في البحر المتوسط وقاما بالاستلاء على 16 سفينة محملة بالبارود والزيت والرصاص والألواح والقطران والقمح. كما كلف بالقيام بمهمات أخرى حيث أرسله خير الدين ليساعد أخيه عروج حينما استنجد به سكان مدينة الجزائر للتخلص من الاسبان فخرج اسحاق على رأس 4 سفن و500 بحار إضافة إلى معدات عسكرية. غير أن أخطر وأهم عمل قام به اسحاق ريس هو مساندة أخيه عروج الذي قاد معركة قوية ضد التحالف الزياني الإسباني حيث كلف بالاستلاء على قلعة القلاع القريبة من مدينة معسكر وكلف أيضا بقطع المؤونة عن الاسبان، ودارت بين الطرفين معركة في القلعة انتهت بانتصار العثمانيين وقتل 700 من الاسبان وأسر 300 منهم واستطاعت دخول القلعة.

قام جيش أبو حمو الزياني بمساعدة قوة اسبانية كبيرة من حصار القلعة مما جعل اسحاق يقبل بالصلح حيث يعيد الأسرى الاسبان مقابل السماح له ولقوته بمغادرة القلعة. ولما خرج اسحاق وقواته انقلب عليهم أبو حمو الزياني والاسبان ودخل الطرفان في معركة انتهت بمقتل إسحاق واستلاء الإسبان على القلعة.

- مقتل عروج

حين وصل عروج إلى تنس في جوان 1517، وصلته رسالة من سكان تلمسان، دعوا فيها عروج تخليصهم من أبي حمو الثالث (1517- 1527) حليف الإسبان ضدّ الحاكم أبو زيان. وعندما وصل عروج إلى تلمسان استقرّ بالمشور، ولم يجد أبا حمو الثالث الّذي فرّ إلى فاس، ثمّ عاد إلى وهران واحتمى بالإسبان.

دخل عروج إلى تلمسان ونصب أميرا بعدها تطورت الأحداث واغتيل أبو زيان وعدد من أفراد عائلته واستولى عروج على قلعة المشور، فسارع القائد الإسباني حاكم وهران إلى التدخل بجيش بلغ عدده 10.000 جندي لإعادة تنصيب أبو حمو الثالث. اتجه الجيش الإسباني أولا إلى قلعة بني راشد

حيث كان يرابط إسحاق فقضوا على القاعدة الموجودة هناك. ثم فرضوا حصارا على تلمسان لمدة ستة أشهر 1518 وقتل على إثرها عروج .

تمّ اتّجه الجيشان نحو المشور بتلمسان، و حاصروا عروج لمدة ستة أو سبعة أشهر تقريبا، و يقال أنّ عروج تمكن من الفرار إلاّ أنه ألفي القبض عليه، و قتل ليس بعيدا عن تلمسان في جويلية 1518. و هكذا كانت نهاية غازي ريس أذهل عقول معاصريه بذكائه، ببسالته، قتاله، و شغفه في نصرة الإسلام و المسلمين.

الجزائر ولاية عثمانية:

وجد خير الدين نفسه في موقف حرج بعد أن فقد أخويه عروج وإسحاق، وكذا قسما كبيرا من جيشه وعتاده، كما أدرك ضعف موقفه السياسي ومركزه الحربي، ولم تكن له في بداية الأمر علاقات مع السكان ورؤساء القبائل مثلما هو الحال بالنسبة لأخيه عروج، ومن جهة أخرى كان أبو حمو الثالث وبمساعدة الإسبان يستعد للهجوم على الجزائر، وفي إسبانيا تولى الحكم شارلكان (شارل العاشر) (1500- 1558). هذا الأخير حين تسلم السلطة وفي 1518 أرسل حملة إلى الجزائر بقياة دون دييقو دي مونكادة (Hugo de Moncada) أحد النبلاء وكان شارلكان طامعا في مساعد أبي حمو الثالث له، حيث وصل الأسطول إلى الجزائر في 17 أوت 1518، أراد الإسبان أوّلا المفاوضة مع خير الدين وذكروه بمصير أخويه عروج وخير الدين، وهاجمهم من كل جهة وكان النصر حليفا له وللجزائريين. وبعد هذا الانتصار وتحصين المدينة حيث دعا خير علماء الجزائر وأعيانها في اجتماع ذكرهم فيه أنه قام بحمايتهم من الاسبان، وحصن المدينة لذلك تكون مهمته في الجزائر قد انتهت، قرّر خير الدّين العودة إلى إستانبول وخدمة السلطان العثماني غير أنّ أعيان المدينة ومن ضمنهم ابن القاضي ناشدوه بالبقاء للدفاع عنهم وعن المدينة.

أمام تمسّك سكان مدينة الجزائر ببقاء خير الدّين ورفضهم لمغادرته، عرض عليهم الالتحاق بالباب العالي والتبعية للسلطان العثماني لأنه هو الوحيد القادر على مساندتهم بالمال والرجال والعتاد، فقبلوا هذا العرض وأرسلوا رسالة إلى السلطان العثماني يطلبون فيها منه مساعدتهم على محاربة إسبانيا ويعلنون تبعيّتهم للباب العالي.

تضمنت الرسالة وصفا دقيقا للوضع في الجزائر، وكان من بين الوفد الحامل للرسالة الشيخ الفقيه أبي العباس أحمد بن القاضي فإلى جانب كونه ينتمي إلى عائلة دينية بارزة كان أيضا مرافقا لعروج في حصاره لتلمسان ونجى من القتل وبالتالي كان بإمكانه أن يشرح الوضع كما يجب للسلطان

العثماني. وقد تقرر التحاق الجزائر بالباب العالي كما " تذكره الرسالة" باتفاق أعيان وتجار مدينة الجزائر، كما بينت الدور المهم للهيئة الدينية في هذا الارتباط، وبالتالي فقرار الانضمام كان جماعي.

عندما وصل الوفد الجزائري المحمل بالرسالة والهدايا إلى استانبول استقبل بحفاوة من قبل السلطان العثماني سليم الأول، وقد استجاب إلى نداء الجزائريين، وعلى إثر ذلك أرسل إلى خير الدين مع الوفد:

- إرسال 2000 إنكشاري واختارهم من أبرز جنده، المتمرسين على القتال ويظهر أن هذا العدد كان عن طريق نظام الدفشرمة إضافة إلى 4000 متطوع.
- إرسال الذخيرة أي أسلحة والعتاد الحربي.
- إرسال السنجاق أو الراية
- إرسال فرمان التولية لخير الدين بربروس مع الخلعة أو قفطان التولية.

أحدث التحاق الجزائر بالباب العالي تغيير موازين القوى في غرب البحر المتوسط فهذه أول إيالة تابعة للدولة العثمانية في بلاد المغرب تحولت إلى عاصمة إيالة الجزائر، ومقر سلطة البايلك.